المؤتمر القرآني الدولي الثاني
في هدايات القرآن الكريم

تَعظِيمُ اللهِ تَعَالى
فِي هِدايَات القرْآن الكَريم

تنظيم جامعة أفريقيا العالمية بالشراكة مع كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى

عنوان البحث

سعة الكون دليل على عظمة الخالق سبحانه وتعالى
- دراسة في تفسير القرآن الكريم وإعجازه -

اسم الباحث

د/ فاضل يونس حسين

د. فاضل يونس حسين

سعة الكون

دليل على عظمة الخالق سبحانه وتعالى
دراسة في تفسير القرآن الكريم، وإعجازه

ملخص البحث

البحث درس حجم الكون وسعته الهائلة المستمرة في التوسع علىٰ الدوام، مع ما فيه من جمال رائع، وربط ذلك بحجم الإنسان الضئيل جدًّا، وبكبير قدره عند الله تعالىٰ.

وفي هذا دليل علىٰ عظمة الخالق تعالىٰ الذي خلق الكون من العدم، وأوجده، وجعله بهذه الضخامة والعظمة والتمدد.

وهو بحث جلّىٰ من التفسير المعاصر لونا مقبولا مستندا إلىٰ حقائق العلم الثابتة بالأرقام والصور المرصودة بالأجهزة والآلات، كاشفا بذلك إعجازا علميا فلكيا يبيّن أن القرآن كلام الله وأن محمدا صلىٰ الله عليه وسلم رسوله المبلغ عنه يقينا.

Abstract:

This research examined the size of the universe and its enormous capacity that continues to expand consistently with its magnificent beauty, and linked it to the very small human size and a great amount of Allah -Almighty-, In this evidence of the greatness of the Almighty Creator who created the universe from scratch and created it with this magnitude, greatness and expansion, and it is a clear research of contemporary interpretation of an acceptable color based on the facts of science fixed by numbers and images monitored by devices and machines, revealing an astronomical scientific miracle that shows that the Qur an is the word of God and that Muhammad May God s prayers and peace be upon him.

المقدمة

مبســـملا محمدلا مصـــليا مســـتغفرا مســـلما محييا

الحمد لله علىٰ نعمه السابغة وفضله العظيم أن خصنا بالعلم وشرفنا بخدمته، والصلاة والسلام علىٰ إمام العلماء، وقدوة المتعلمين؛ سيدنا؛ محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين،،

أما بعد؛ فإن البحث الذي بين أيدينا يمتلك من النفاسة أوج كمالها؛ لأنه يعنىٰ ببيان عظمة الخالق بالنظر إلىٰ عظم مخلوقاته التي أكبرها الكون الواسع، وهو موضوع خصب ومتشعب وذو شؤون وشجون تنسكب علىٰ أعتابه العبرات، لتكون عظات بالغات لمن كان له قلب أو ألقىٰ السمع وهو شهيد.

وهدف البحث إبراز وجه جديد في تفسير آيات -بل آية واحدة محددة- وصفت الكون في سعته الهائلة وحجمه الكبير العظيم الخطير.. فربنا تبارك وتعالىٰ قارن خلق السماوات والأرض بخلق الناس قال جل جلاله: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[غافر]. وسوف يأتينا ذلك في البحث. وثمة من كتب فيه لكن في غير مضمار الباحث وسبيله ومنهجه وخطته، فلئن اتحدت المسميات فالبون واسع بين مضامينها، إذ سلكت جددا غير مسلوك في عرض صفة الكون بحجم هائل جدًّا، مع سعته الخيالية، وربطت ذلك بجماله الأخاذ الفاتن الساحر، ثم بينت الحكمة في ذلك مع ربطه بالإنسان الغاية والمخدوم في ذا الكون. ولا شك أن البحث لم يعرَ من مصاعب في مقدمتها ندرة المصادر والمراجع مع صعوبة الاستفادة منها إلا بشق الأنفس.

أمّا المنهج الذي اختاره الباحث فيغلب عليه الوصف مع التحليل إن لزم الأمر. ثم إن خطة البحث قائم علىٰ مقدمة ومبحثين وخاتمة مع قائمة المصادر، والمبحث الأول منهما في سعة الكون أو حجمه -إن صح التعبير- لأننا نتعامل مع أبعاد ثلاثة هي: الطول والعرض والارتفاع أو العمق-، أما الثاني ففي جمال الكون وخدمته للإنسان. ثم الخاتمة التي فيها نتائج البحث مشفوعة بالمقترحات والتوصيات، وأخيرا قائمة المصادر والمراجع. والله تعالىٰ نسأل القبول والإخلاص وأن ينفع به الباحث مع القارئ، لكي يسد ثغرة في مكتبتنا الإسلامية.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،،

التمهيد

في هذا البحث يتم علاج عدد من الأشياء المترابطة، من:

- سعة الكون ومدىٰ ضآلة حجم مجرتنا أمامه فضلًا عن الشمس مصدر طاقتنا الضوئية والحرارية؛ ومصدر سعادتنا ومسيرة حياتنا، ناهيك عن أرضنا التي لا تحسب أمام حجم الكون العظيم الكبير الواسع، وكذلك
- الحكمة من تسخير هذا الكون الكبير جدًّا لهذا الكائن الصغير جدًّا،
- مصحوبًا بجمال الكون.

تنبيه مهم:

رمز الباحث للسنة الضوئية بـ (سض) للاختصار، وبسبب كثرة تكرارها في البحث.

المبحث الأول: حجم الكون أو سعته

المطلب الأول: مدخل

المتدبر في قراءة التنزيل الحكيم لا شك أنه يعلم تفاصيل كثيرة، منها أصغر الأشياء وأكبرها.. فالقرآن المعجز أشار تلميحًا إلىٰ الأصغر بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [يونس: 61]. وقال جل شأنه وعظم سلطانه: ﴿لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ: 3]، فهنا نجد ما هو أصغر من الذرة، وهو ما لم يعرفه العلماء إلا في العقود القليلة الماضية. وكذلك أشار إلىٰ الأكبر، فقال: ﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ١٢٩﴾ [التوبة: 129]، وقال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٦﴾ [النمل]، والكون الذي نعيش فيه واسع جدًّا، وهو فضلًا عن ذلك يتوسع باستمرار بل إنه يتمدد مصداقا لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ٤٧﴾ [الذاريات].

هذا ولم يعرف هذا الأمر سوىٰ في العشرينات فقط من هذا القرن حين بدأ البشر أخيرًا يرون لمحة – بل أقل من لمحة- عن الحجم الحقيقي للكون[1]. إذ يبلغ حجم الكون المرئي بأكمله حاليًا (100 مليار سض= 10^{27}م)، وهو ما يفوق حجم مجرتنا مليون مرة، وهذا حجم هائل جدًّا ومدهش ظاهريًا، إذ إنه أكبر من المسافة التي يمكننا رصدها فعليًا وهي (13،75) مليار سنة منذ الانفجار العظيم، ولا يمكن تجاوز هذا الرّقم بسبب امتناع انتقال أي شيء أسرع من الضوء، لذا يبدو الأمر مستحيلًا[2].

إن الكون شاسع جدًّا ومتوازن تمامًا لوجود رقم ضخم شديد الأهمية في الطبيعة، رمزه:

$$(N) = 10^{35} = (1.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000)$$

يقيس هذا الرقم قوة القوىٰ الكهربائية التي تربط الذرات ببعضها مقسومًا علىٰ قوىٰ التجاذب بين الذرات، فلو نقصت هذه الأصفار قليلًا، لما:

---

(1) ينظر: البدايات؛ قصة نشوء الإنسان- الحياة- الأرض- الكون، إسحق عظيموف: 287.

(2) ينظر: الطرق علىٰ أبواب السماء- كيف تنير الفيزياء والتفكير العلمي الكون والعالم المعاصر-، ليزا راندل: 390.

- وجد إلا كون ضئيل قصير العمر،
- كان لكائن أن ينمو إلىٰ حجم أكبر من الحشرة،
- كان ليوجد وقت كافٍ للتطور العضوي [1].

جاء في (مجلة الفضاء)[2]: إنّ كلّ هذا العالم الواسع الذي نشاهده ليس إلا ذرة صغيرة، بل جزءًا لا حدود له من عالم أكثر عظمة. ومن هنا نقف علىٰ عمق معنىٰ الآية الكريمة التي تقول: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[غافر]. ونتساءل أفلا يعد بيان مثل هذه الأمور من قبل فرد أمي في عصر نزول القرآن في بقعة من أكثر بقاع العالم تأخرًا، معجزة (أو إعجازا فلكيا)؟! اللهم نعم. إن المجموعة الشمسية -بكواكبها التسع وأقمارها العديدة وما تضمه من مذنبات مثل مذنب (هالي)- هي جزء من مجرتنا "درب التبانة" التي تضم نحو (100) ألف مليون مجموعة شمسية [3]، في كل منها كواكب عديدة وأقمار كثيرة ومذنبات وغبار كوني... الخ، وأن الكون الفسيح يضم نحو ألف مليون مجرة، وأقرب المجرات إلينا تبعد نحو (700) ألف سض. وأقرب شمس إلينا هي: (ألفا سينتيوريٰ= $\alpha\,Centauri$): تبعد عنا نحو أربع سض. فالكون مشحون بالمجرات والكواكب، وكل كوكب له مجاله الذي يسبح فيه.. والعلماء يذكرون أمرًا عجيبًا في حركة الكوكب، يذكرون أن المجرات بملايين الكواكب التابعة لها يتداخل بعضها في بعض، وترقص الكواكب حول نفسها وحول كواكب المجرة الأمِّ، وتظل هكذا حتىٰ تخرج هذه المجرة من مجال جارتها، تخرج ومعها كل كواكبها. كل هذا ولا يصطدم كوكب بكوكب.. وسبحان العلي الخالق القائل: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾[الواقعة: 77]، إن هذا يقودنا إلىٰ ما يأتي:

١- سعة الكون الهائلة الضخمة الكبرىٰ بحيث لا نطيق استيعابها ولا تصورها.

---

(1) فقط ستة أرقام/ القوىٰ العظمىٰ التي تشكل الكون، تأليف: د. مارتن ريس: 17.

(2) مجلة الفضاء، العدد: 56، 1972م. نقلًا عن: آيات الكون وأسرار الطبيعة في القرآن، عبد الله الغديري: 32.

(3) يرىٰ علماء الفلك أن في مجرتنا وحدها يحتمل وجود مائة مليون نظام شمس شبيه بنظامنا الشمسي. ينظر: الإنسان في الكون بين القرآن والعلم، د. عبد العليم عبد الرحمن خضر: 292.

٢- دقة النظام السائد والجاري والساري فيه، فجميع الأجرام السماوية في حركة دائبة مستمرة، بحيث لا يصطدم جرم منها في جرم آخر، مصداقًا لقوله تعالىٰ: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [المُلك: 3][1]. والمعنىٰ: لا يرىٰ فيه تخالف وعدم تناسب في رعاية الحكم، بل راعاها سبحانه في كل خلقه.

٣- جمال الطبيعة والكون الذي نعيش فيه، وننعم بخيراته.

والمجرات بنجومها، والنجوم بكواكبها، والكواكب بأقمارها بمثابة مصابيح للسماء الدنيا، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [المُلك: 5]، أي: في بطن السماء القريبة من الأرض.

المطلب الثاني: النجوم والمجرات في مقارنات وأرقام

لأجل عقد مقارنة بين الإنسان والكون ثمة تشبيهات عدّة، منها:

- كنت ألقي محاضرة في هذا الموضوع لطلبة الصَّفِّ الثالث في قسم الفيزياء -كلية التربية/ جامعة الموصل، فاسترسلت في مقارنات رقمية وحجمية وصورية مستهلًا بضرب مثل، فقلتُ: أيها الطلبة كم يتصور الواحد منا حجمه في هذا الغرفة (قاعة الدرس)؟ ثمّ كم حجم هذا الغرفة مع هذه العمارة الكبيرة (الكلية)، وأين الطالب من تلك البناية؟ ثم ما حجم هذه البناية بالنسبة لمدينة كركوك؟ وأين أحدنا من تلك المدينة؟ بل ما قيمة مدينة كركوك مقابلة بالعراق الذي يضم حوالي عشرين محافظة؟ والعراق كم يشغل من مساحة الوطن العربي، وعن قارة آسيا؟ وما سعة هذه القارة بالمقارنة مع الكرة الأرضية العملاقة؟ وهذه الأرض كم تساوي أمام الشمس؟!... الخ، فأين يمكن أن نتذكر طالبًا أو درسًا أو أي أحد أمام الشمس؟! فما بالكم بالنّجوم العملاقة؟
- قال مارتين ريس Martin Reer [2] مقرّبًا الصُّورة للأذهان: البداية مع صورة فوتوغرافية عادية -لرجل وامرأة- التقطت من مسافة بضعة أمتار، ثم المشهد نفسه

(1) وآيات أخرىٰ بالمعنىٰ ذاته جرىٰ الحديث عنها في: روعة البيئة ورعايتها- دراسة في الإعجاز الفيزيائي للقرآن الكريم، د. فاضل يونس حسين: 17.

(2) خلص هذا العالم الفيزيائي الفلكي البريطاني بعد سلسلة من البحوث التي أجراها، إلىٰ أن الكون لم يأت من عدم وأنه من صنع الخالق فعلًا. ينظر: مقال: عالم فيزياء بريطاني: بحوثي أثبتت أن الله خلق الكون، https: //arabic.rt.com /world /876262، 1/ 5/ 2017م

من نقاط أبعد فأبعد، كل نقطة أبعد عن سابقتها بعشرة مرات؛ الصورة الثانية والثالثة تظهران أنهما في حديقة عامة، والرابعة تظهر بعض المباني المرتفعة، والتالية تظهر المدينة كلها، والتي بعدها تظهر أفق الأرض مع استدارة الكوكب، ثم صورة كوكب الأرض بقاراتها والمحيطات وسحب بغلافه الحيوي كمجرد لمعة رقيقة، وقفزات أخرىٰ سترينا النظام الشمسي الداخلي، وفيه تدور الأرض حول الشمس، وهي أبعد عنها من عطارد والزهرة، والتالية سترينا النظام الشمسي بأكمله، ثم بعد أربع صور أخرىٰ تظهر شمسنا كنجم وسط جيرانها من النجوم، وبعد ثلاث صور أخرىٰ سنرىٰ مليارات من نجوم متشابهة في القرص المسطح لمجرتنا درب التبانة، تمتد علىٰ مسافة عشرات آلاف سض، بعد ثلاث قفزات جديدة ستظهر مجرة درب التبانة مع مجرة المرأة المسلسلة *Andromeda*. ومن مسافة أبعد تظهران من بين مئات المجرات التي تمثل الأطراف الخارجية لتكتل مجرات فيرجو *Virgo*، ثم خطوة أخرىٰ سترينا أن "فيرجو" ليس إلا تكتلًا متواضعًا، ثم تنتهي السلسلة ولا يمتد أفقنا لأبعد من ذلك.. لكننا احتجنا (25) قفزة، كل منها أكبر من سابقتها بعشرة مرات، حتىٰ نصل إلىٰ حدود كوننا المشاهد، بداية من مقياس (بشري) هو بضعة أمتار [1].

- وكذلك افترض د. عبد الله المسند أثناء إلقاء محاضرته الجميلة عن قوله تعالىٰ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: 255] فقال ما معناه:

لنفرض أن مساحة مسجد الحي (2500م²) [2] بينما مساحة المسجد الجامع في الحي (10,000م²) [3]، ومساحة مصلىٰ العيد في البلد (40,000م²) [4]، ولكنه صغير بمقارنته بالمسجد النبوي الشريف (302,500م²) [5]، حيث يكبر المسجد النبوي مصلىٰ العيد أضعافًا! ونحن لم نبرح في مضمار سياق وسباق المقارنات، فباعتبار مساحة المدينة المنورة (500 كم²) فإنها تكبر المسجد النبوي بـ (1667) مرة! والجزيرة العربية (3,100,000 كم²) أكبر من المدينة المنورة بـ(6200) مرة! وقارة

(1) ينظر: فقط ستة أرقام: 20-21.

(2) دونم واحد.

(3) أربعة دوانم.

(4) 16 دونما

(5) 121 دونمًا.

آسيا أكبر من الجزيرة العربية بـ (14) مرة! أما كوكب الأرض فأكبر من آسيا بـ (11) مرة! فأين موقع مسجد الحي من كوكب الأرض؟! إذ إن مساحة الأرض تكبر مساحة مسجد الحي بـ (204,028.800.000) مرة. وكوكب المشتري أكبر من الأرض بـ (1321) مرة! والشمس أكبر من المشتري بألف مرة، وأكبر من الأرض بـ (1300000) مليون وثلاثمائة ألف مرة[1]! فسبحان الخلاق العظيم.

بالنظر في تلك الأرقام نكون علىٰ يقين بأن الإنسان في حجمه المادي الحسي الغاية في الضآلة والصغر ليس شيئا يذكر أمام تلك الأجرام العظيمة جدًّا جدًّا.

وهنا نفترض لو أننا قدرنا الشمس بحجم كرة السلة افتراضا فإن الأرض ستكون بحجم رأس القلم فقط! قال تعالىٰ: ﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾﴾ [النازعات].

والشمس العظيمة المهيبة نجم متواضع بمقارنتها بنجوم أخرىٰ.. كما في الجدول الآتي:

ت	اسم النجم		أكبر من... ... مرة	
	بالعربي	بالإنكليزي	الشمس	الأرض
1	الشعرىٰ اليمانية	Sirius	8	10 مليون
2	الهنعة	Pollux	512	663 مليون
3	السماك الرامح	Arcturus	30 ألف	40 بليون
4	رجل الجوزاء	Rigel	343 ألف	400 بليون
5	بيت الجوزاء	Betelgeuse	274 مليون	355 ترليون
6	قلب العقرب	Antares	343 مليون	.....

(1) ينظر: وسع كرسيه السموات والأرض، مقال: د. عبد الله عبد الرحمن المسند، السعودية، رمضان/ 1429هـ، http://www.almisnid.com/almisnid/article-27.html، العلم وآفاق المستقبل، إسحق عظيموف: 256-257.

7	أكبر نجم مكتشف	VY Canis Majoris	9 بليون و261 مليون	.....

النجم الأحمر العملاق قلب العقرب *Antares*؟ يبعد عنا 600 سض. ويساوي = (5,676,480,000,000,000) كم)! ولو فرض أنه حل مكان الشمس لابتلع كلًا من: عطارد والزهرة والأرض والمريخ وما بينهما من فضاء وسماء، وهو أشد إشعاعًا من الشمس بـ (10,000) مرة!

وأما أكبر نجم مكتشف حتىٰ الآن فهو VY Canis Majoris الذي يبعد عنا (5) آلاف سض. ولو فرض أن هذا النجم حل مكان شمسنا لابتلع المشتري، ولوصل إلىٰ حدود مدار زحل! حتىٰ إن الضوء يستغرق أكثر من (8) ساعات ليكمل دورة واحدة حول محيط النجم العملاق، ولو فرض أننا نسير بسرعة (5) كم/ ساعة. بلا توقف لاستغرقت سنة من أجل الدوران علىٰ محيط الأرض فقط، و(104) سنوات من أجل الدوران حول محيط الشمس! و(217) ألف سنة! من أجل الطواف حول ماجروسMajoris [1].

لكن ما الحكمة في وجود النجوم العماليق الخيالية الضخامة؟!

كأن هندسة السماء الكونية اقتضت وجودها لأجل التوازن في الجاذبية الذي يمنع السماء المحبوكة: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ۝٧﴾ [الذاريات]، من أن تنهار: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ۝٤١﴾ [فاطر].

وللخالق أمور يفوق إدراكنا وفهمنا.

إن هذه الأرقام التي ذكرت ليست نظرية، وإنما هي مشاهدة حقيقية.

يقّدر علماء الكون والفلك المتخصصون طول مجرة التبانة بمائة ألف سض؛ أي ما يعادل 945,424,051,200,000,000 كم (تسعمائة وخمس وأربعين كوادرليون [2] وأربعمائة وأربع وعشرين ترليون [3] وإحدىٰ وخمسين بليون [4] ومائتي مليون [5] كم). ويقدّر عدد

(1) ينظر: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، محمد علي شفيق الندوي: 86.

(2) كوادرليون: هو عدد يساوي مليون مليار، واحد وبجانبه الأيمن (15) صفرًا.

(3) ترليون: واحد وبجانبه (12) صفرًا.

(4) بليون: واحد وبجانبه (9) أصفار.

(5) مليون: واحد وبجانبه (6) أصفار.

نجومها بين 200 – 400 بليون نجم. وفي السّماء الدّنيا بلايين المجرّات، وكل مجرّة تحتوي علىٰ بلايين النّجوم!! والعلماء كلّما طوروا مناظيرهم العملاقة اكتشفوا المزيد والكثير من المجرّات العظيمة. وحجم السّماء أكبر وأعظم من أن يستوعبه العقل البشري، أو يدركه الذهن الإنساني، بل ولا حتىٰ الحاسب الآلي. ويكفي أن نذكر هنا أن متوسط قطر المجرات يساوي 30,000 سض. بينما تقدر المسافة الوسطية بين كل مجرتين بـ 3 مليون سض! فعندها ندرك قوله تعالىٰ: ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾﴾ [النازعات] ، فجعلها واسعة الأرجاء ممتدة البناء لحكمة شاءها خالق الأرض والسماء: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الأنبياء]. وعلىٰ مستوىٰ الكون المكتشف والمنظور (فقط) فإن أحدث تقدير علمي لعرض الكون يقدر بـ 156 بليون سض أي: 1,474,861,519,872,000,000,000,000 كم.

(واحد سبتليون [1] وأربعمائة وأربع وسبعين سكستليون [2] وثمانمائة وواحد وستين كونتليون [3] وخمسمائة وتسع عشرة كوادرليون وثمانمائة واثنين وسبعين ترليون كم!). سبحانك يا عظيم.

المطلب الثالث: الكرسي والعرش

مخلوق يتيم يكبر السماوات والأرض؟ ولم يشاهده من البشر أحد، ولم يخلق مثله في الوجود أبدًا، ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: 255].

والعرش أعظم وأكبر من الكرسي، قال الحبيب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَىٰ الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ تِلْكَ الْفَلَاةِ عَلَىٰ تِلْكَ الْحَلْقَةِ**»[4].

وبالتأكيد فإننا ههنا نسينا تمامًا مساحة مسجدنا في حينا أو منطقتنا! وهل يجوز لنا بعد المقارنات العظيمة السالفة أن نقارن مساحة مسجدنا أو كوكبنا أو شمسنا أو مجرتنا أو حتىٰ سمائنا بكرسي الرحمن!؟ فضلًا عن عرش الرحمن!؟ ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الصافات]،

(1) السبتليون: واحد وبجانبه (24) صفرًا.

(2) سكستليون: واحد وبجانبه (21) صفرًا.

(3) كونتليون: واحد وبجانبه (18) صفرًا.

(4) الإبانة الكبرىٰ لابن بطة: 7/ 181 [136]؛ وصححه الألباني. ينظر: الصحيحة: 1/ 226.

﴿ سُبۡحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الزُّخرُف]، ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأنبياء].

بهذه المقارنات تيسرت لنا معرفة حجم الأرض الصغير جدًّا –فضلًا عن حجم ساكنها الإنسان المتجبر– في كوننا الواسع الشاسع جدًّا جدًّا. ومن فوقه العرش العظيم، الذي وصفه الخالق العظيم بالعظمة فقال: ﴿ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ ﴾ [المؤمنون].

وعالم العرش لا يعلمه إلا الله، ويحمله في الآخرة ثمانية من الملائكة، قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحاقة]، يصف أحدَهم النبيّ ﷺ فيما يروي جابر بن عبد الله رضي الله عنه: «**أُذِنَ لي أن أُحدِّثَ عن مَلَكٍ مِنْ ملائكةِ الله من حَمَلة العرش: إن ما بين شَحمةِ أُذُنِه إلىٰ عاتِقِه مَسيرةُ سبع مئةِ عام**»[1]. هنا يعبر الرسول ﷺ عن المسافة بالزمن، وهذا مألوف في حديثه ﷺ، وهو ما جاء من بعد قرون كحقيقة علمية حين ربط "ألبرت آينشتاين *Albert Einstein*" المسافة بالزمن في الأبعاد الأربعة "الزّمكان" في نظريته النسبية.. فلنعرف حجمنا نحن بني آدم، فالكوكب الذي نعيش فيه يكاد يكون لا حجم له في هذا الكون الواسع إذا ما قيس بغيره [2]، فإن كوكب المشتري يفوق حجمه حجم الأرض بألف وثلاثمائة مرّة[3]. أمّا الشمس فأكبر منها بمليون وثلاثمائة مرة، كما تبين فيما سبق، وثمة نجوم في هذا الكون لها أحجام تفوق حجم الشمس بملايين المرات [4]، بل إن شمسنا إذا قورنت بنجم *Antares* يكاد يشبه النقطة لا غير، ويبعد مقدار 600 سض من نظامنا الشمسي، كما نرىٰ ذلك في الصور المعروضة في الصفحات القادمة.

---

(1) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في الجهمية: 7/ 109// [4727]، وصححه الحافظ ابن حجر في: فتح الباري شرح صحيح البخاري: 8/ 665؛ والسيوطي في: الدر المنثور في التفسير بالمأثور: 13/ 17.

(2) المجرات تشهد بعظمة الخالق، في 15/ 12/ 2014، موقع طريق الإسلام:

http://iswy.co/e146on

عجائب الفيزياء– ألغاز ومفرقات وغرائب، تأليف: كريستوفر ياردوجسكي، فرانكلين بوتر: 195، 408.

(3) ينظر: محاضرات في علم الفلك، دعاء قنديل: 25.

(4) محاضرات في علم الفلك: 25.

المبحث الثاني: حجم الإنسان وقيمته عند خالقه تعالى

المطلب الأول: ضآلة حجم الإنسان جسمًا مع كبير قدره عند الله تعالى

لا شك أننا نصاب بالذهول عند مقارنة حجم جسم الإنسان المخلوق الضعيف بتلك الأرقام الجبارة الهائلة جدًّا. يقول "آرثر ستانلي إدنجتون *Arthur Stanley Eddington* ": «وضع الإنسان بالنسبة للكون مثل: دودة داخل فاكهة، داخل حقيبة، داخل غرفة، داخل سفينة، وتحاول تلك الدودة معرفة ما يجري في المحيط»[1]. وهو قول جميل، وتشبيه رائع، ووصف دقيق عنّا -نحن البشر- وعن مسكننا الصَّغير بل الصَّغَيِّر جدًّا جدًّا. ويكون أبلغ ما يكون حين نمعن النظر محدقين في الصورة رقم (1) وما بعدها.

إننا نقع بين الكون من جانب، والعالم المصغر من جانب، حجمنا متوسط بين الشمس التي قطرها مليار متر من ناحية، وجزيء يقارب جزءًا من مليار جزء من المتر من ناحية أخرىٰ[2].

لو أننا تيسر لنا أن نقارن حجمه وعمره بأحجامنا وأعمارنا، عسىٰ أن ندرك ضآلة هذا الإنسان المتكبر المتجبر -حاشا الرسل والأنبياء والصالحين-، وأنه بالفعل لا يساوي شيئًا أمام عظمة الخالق تبارك وتعالىٰ... إنه كون عظيم توجد فيه مسافات شاسعة لا يتصورها عقل، تتجمع فيه النجوم بشكل رائع يدل علىٰ إتقان صنع الله الخالق البارئ المصور عز شأنه، وقد خلق هذا العدد الهائل من المجرات والنجوم ليؤكد لنا أن الله أعظم وأكبر، ولكن الملحدين يقولون إن الأرض لا تشكل إلا "ذرة" صغيرة من حجم الكون، فلماذا تُعطىٰ هذه الأهمية في القرآن؟! والجواب المنطقي لهذا التساؤل هو: إن القرآن الكريم نزل ليخاطب عقولنا، ولولا الأرض لما وُجد الإنسان أصلًا! فهذه الدار بني لهم للسكنىٰ والتمتع، وجعلها وما فِيها للاعتبار والتفكر والاستدلال عليه بحسن التأمل والتذكر، فلما انقضت مدة السكنىٰ، وأجلاهم عَن الدار وخربها لانتقال الساكن منها، فأراد أن يعلمهم بأن في إحالة الأحوال، وإظهار تلك الأهوال، وإبداء ذلك الصنع العظيم بيانًا لكمال قدرته ونهاية حكمته وعظمة ربوبيته، جل جلاله وعظم شأنه[3].

---

(1) رحلة شيقة إلىٰ أعماق الكون الغامض والمدهش، سفيان الصنهاجي، عالم الإبداع، 7/ 2/ 2016م، https: //maalomatmofida.blogspot.com /2016 /02 /blog- post_60.html

(2) فقط ستة أرقام: 22.

(3) مفتاح دار السعادة، ابن القيم: 2/ 163- 164.

كما إن الكون في الأدب الإسلامي آية من آيات الله الكبرىٰ، وصورة من صور قدرته العظمىٰ، وشاهد علىٰ وجوده تعالىٰ، والطبيعة تبرز القدرة العلية كثمرة من ثمرات فضله سبحانه وتعالىٰ، فقد سخر الكون كله للإنسان بشهادة القرآن [1]. هذا وقد سجل أدب الطبيعة أسمىٰ آيات الأدب الرصين علىٰ مر العصور الأدبية. فالكون كله يشارك الإنسان في أسمىٰ حالاته، ويشاطره أفراحه وأتراحه، ويسبح بحمد الله كما يسبح الإنسان، قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النور][2]. والإنسان في الأدب الإسلامي جسد وروح، تكتمل إنسانيته بهما: (قبضة من طين الأرض، ونفخة من روح الله)، فليس للتصور الإسلامي أن يبخس الروح حقها مرضاة للجسد، ولا الجسد حقه ليزيد من حق الروح، ويصور الشاعر "عمر بهاء الدين الأميري" (ت: 1992) هذين الجانبين، يقول [3]:

وحين يُغَشِّيْه من الترب عِثْيَر ... يدِب علىٰ الأرضين يعْمَهُ في تِيهِ
تذبذبَ بين الروح والطينِ عنصري ... فلا الطينُ يُرديه ولا الرُّوحِ يُعليه
تركتُ شراعي في العُباب مسلِّما ... لعلّ رياحَ الله بالّلطفِ تُزْجيه
ووجهت أعماقي وروحي وطينَتي ... إلىٰ الله أرجو عنده خيرً توجبه
وطاف بقلبي طائفٌ من سكينة ... يَعزُّ علىٰ عقلي اكتناهُ معانيه

والآن فلتتأمل الصورة (1) لجزء صغير من مجرتنا درب التبانة لمنطقة تسمىٰ M13، وهي عبارة عن تجمع للنجوم يحوي أكثر من مائة ألف نجم، ويبعد عنا 25000 سض، وهذا التجمع هو واحد من 150 تجمعًا في مجرتنا، إن كل نجم من هذه النجوم هو شمس كشمسنا أو أكبر منها، وهذه الشموس تقترب من بعضها إلىٰ مركز العنقود وتصطدم [4]، وهناك نجوم تموت، ونجوم

(1) الأدب الإسلامي، أد. عبد الله فتحي الظاهر: 22؛ الكون والإنسان في التصور الإسلامي، د. حامد صادق قنيبي: 85-87.

(2) الأدب الإسلامي: 22؛ ينظر: تسبيح الكون، أد. أحمد شوقي إبراهيم: 107-108؛ القول المقبول في معجزات الرسول ﷺ، محمد الشيخ طه الباليساني: 32.

(3) مع الله (ديوان) عمر بهاء الدين الأميري: 95- 96؛ الأدب الإسلامي: 23.

(4) قد يقال كلامكم فيه تناقض، مرة تقولون: المجرات بكواكبها تتداخل ثم تخرج ولا يصطدم كوكب بكوكب. أما هنا تقولون باصطدام النجوم؟ وهذا سؤال سديد والرد عليه أوجه منه، فهنا نجد هذا الاصطدام مقصودا بإرادة حكيمة مفادها ولادة نجوم جديدة فتية قوية، بالتخلص من النجوم القديمة =

تخلق نتيجة الاصطدامات، علىٰ وفق نظام مهيب لا يعلم حقيقته إلا الخالق تبارك وتعالىٰ.. لذلك عندما نرىٰ مثل هذا المشهد المهيب يجب أن نتذكر عظمة الخالق تبارك وتعالىٰ، وبالمقابل نتذكر ضآلة حجمنا أمام هذا الكون! فطول الإنسان مقارنة بأبعاد الكون هو أقل من: جزء من مئة تريليون تريليون (التريليون واحد بجانبه 12 صفرًا)، أما عمر الإنسان مقارنة بعمر الكون فيبلغ أقل من: جزء من مئة مليون. إن هذه الأعداد تثبت يقينًا عظم خلق السموات والأرض، بل إن هذا في الحقيقة بمثابة تفسير معاصر لقوله تعالىٰ: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾[غافر: 57]. والله تعالىٰ أكبر وأعظم وأجل وأعلم!

إن السماء تحيط بالأرض، فيراها الإنسان دائمًا، كما أنها تتسم بالضخامة والاتساع والجمال، مما يؤثر في حس الإنسان ووجدانه.. وإن هذه الصورة الكونية الضخمة المرسومة للسماء والأرض، تشغل مساحة واسعة في المكان، كما تحتل مكانة واسعة في الحس والشعور، وهي أكبر دليل علىٰ خلق الناس. وتتفاعل صورة السماوات والأرض في السياق، عن طريق التجاور في التعبير، والتقابل في الحس، لكي تزداد الصورة ضخامة واتساعًا في الحس والشعور والخيال.

ولئن قورن بين هذه الصورة الكونية الضخمة، والصورة البشرية، سيلاحظ حينئذ ضآلة البشر أمام خلق السماوات والأرض [1]. وتمضي الصورة القرآنية في رسم المشاهد الكونية، وهي في حالة تسبيح لله الخالق سبحانه، حتىٰ تلقي في حسّ الإنسان الرهبة والخشوع أمام هذه المشاهد يقول الله تعالىٰ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: 44][2].

إن صورة هذا التسبيح الكوني علىٰ هذا النحو المثير تدلّ علىٰ الصانع وعلىٰ قدرته، وحكمته، فكأنها تنطق بذلك، وكأنها تنزه الله عز وجل مما لا يجوز عليه من الشركاء وغيرها[3]. وهنا في هذا الموضع حمل الزمخشري الصورة علىٰ التشبيه والمجاز، لكن ردّ ابن المُنَيِّر قولَه هذا، ورأىٰ أن

الهرمة، وهذه سنة كونية معروفة كما عند الكائنات الحية ومنها البشر فإنهم يموتون ويولد غيرهم، ولو افترضنا عدم الموت لامتلأت الأرض بالبشر، ولما بقي فيها مكان لهم يسعهم جميعا فضلا عن الأقوات.

(1) ينظر: إشارات الاعجاز في مظان الايجار، النورسي (ت: 1379هـ): 162. حيث أشار إلىٰ الحكمة فيها.

(2) ينظر: وظيفة الصورة الفنية في القرآن، عبد السلام الراغب: 1/ 202، فيزياء العقل البشري والعالم من منظورين، روجر بنروز: 26.

(3) ينظر: الكشاف، الزمخشري (ت: 538هـ): 2/ 670.

التسبيح هو علىٰ الحقيقة وليس مجازًا [1]. فالصورة هنا، تبرز الطبيعة، وهي خاضعة لله، وملتزمة بقوانينه التي وضعها لها، فهي دائمة التسبيح له، من خلال هذا الخضوع لقوانينه الموضوعة، والسير علىٰ سننه الكونية، والتسبيح يضفي علىٰ المشهد الكوني حياة وحركة، وكأنّ هذه المشاهد مخلوقات حيّة تنطق وتتكلم وتسبّح، وذلك لإحياء مشاهد الطبيعة في حس الإنسان وشعوره، كي يتجاوب معها في حركة التسبيح الكونية، ولا يشذ بمفرده عن هذا التسبيح الجماعي للكون من حوله[2]. وقد احتوىٰ القرآن العزيز علىٰ تصوير مشاهد الكون الضخمة، لأجل أن يقارن الإنسان بين خلقه وبينها ليشعر أن خلقه أهون وأصغر وأحقر من هذه المشاهد التي يراها فوقه، يقول الله تعالىٰ: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾﴾ [النازعات]، فالصورة هذه توحي بضآلة خلق الإنسان إلىٰ جانب هذه الصورة الكونية الضخمة، المتجاوزة في التعبير لصورة الإنسان، لتحقيق هذا الغرض من التصوير[3]. لكن الإنسان مع صغره وضآلته هو الكائن المكرم عند الله، قال تعالىٰ: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء]. وهو القائم علىٰ قدميه في أحسن صورة، وأجمل هيكل وقوام، قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين]. لذلك استخلفه الله تعالىٰ الأرض، قال جل شأنه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأنعام: 165]. واستعمره فيها، قال جلّ وعلا: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: 61]، وآتاه من كل ما سأل، قال جلّ جلاله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم]. فالإنسان مخلوق شريف مكرم، خلق خلقًا مستقلًا من الله عز وجل مباشرة، وفيه نفخة من روحه، وهو من أول تصويره في أحسن تقويم، وهو من ربه في المنزلة التي أسجد له بها ملائكته [4]. فَاللَّهُمَّ

(1) ينظر: الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال الوارد في هامش الكشاف: 2/ 670.

(2) ينظر: م. س: 1/ 202؛ ينظر: تسبيح الكون: 49، 150؛ القول المقبول في معجزات الرسول ﷺ: 32.

(3) ينظر: وظيفة الصورة الفنية في القرآن: 1/ 250.

(4) الانفجار الكبير، د. بهاء الأمير: 189.

يَا مَنْ لَهُ النِّعْمَةُ، وَلَهُ الْفَضْلُ، وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ، سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ لاَ نُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ. أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ عَزَّ جَارُكَ، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ، وَتَبَارَكَتْ أَسْمَاؤُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ.

المطلب الثاني: الملك

هناك مفاهيم أربعة لا بد أن توضح إيضاحا لا يدع مجالا للريبة والتشكك:

١- الكون

٢- الكرسي

٣- العرش

٤- الملك.

إننا لا نستطيع بحال تحديد هذه المفاهيم تحديدًا دقيقًا، لأنها مغيبات، ولأن الغيب يقتصر فيه بما أخبر صاحب الغيب سبحانه وتعالىٰ. ولكن نحاول علىٰ قدر تصورنا أن نقول:

السموات كون واسع، ولعل نسبة الأرض إلىٰ الكواكب في السماء لا يزيد عن نسبة «حصاة» واحدة في مجموع الحصىٰ الذي يمكن أن يبني مدينة من أكبر مدن العالم، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الذاريات]، ومع اتساع السماء وكثرة المجرات فيها فالكرسي أعظم منها كلها جميعا، قال تعالىٰ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: 255].

ولو قورن بين الكون الواسع وبين العرش العظيم، فالسموات السبع والأرض وما بينهما: بالنسبة لعرش الرحمن كحلقة ملقاة علىٰ ظهر جبل. هذا هو العرش، أما تصور ملك الرحمن فالمخيلة الإنسانية مهما اتسعت، وأطلقت لنفسه حرية التصور فلن تستطيع أن تتصور حقيقة ملك الله، قال تعالىٰ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [المُلك]. فمن علم سعة الملك فلا يضيق في تصوره أن يدرك مكانا للنار لأن ملك الله أكبر بكثير من السموات والأرض ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾﴾ [الشورىٰ]. هذا؛ وفي يوم القيامة تبدل الأرض غير الأرض والسموات [1]، وجلّ من قال -وقوله الحق-: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ [إبراهيم].

(1) ينظر: حتىٰ لا نخطئ فهم القرآن، محمود محمد غريب: 25.

المطلب الثالث: جمال الكون في القرآن الكريم

ذكر القرآن الكريم الطبيعة في كثير من آياته، حيث عرض كثيرا من مشاهدها، ولفت النّظر إلىٰ كثير من دقائقها، ووضع الأيدي والأنظار علىٰ ما خفي من جمالها وحسنها وإشراقها بإذن ربها تعالىٰ. فإذا كان القرآن الكريم المنزل يأخذ بيد الإنسان ليوصله إلىٰ الله الواحد الأحد، فإنّه يلفت النّظر أيضا إلىٰ كتاب آخر جميل مفتوح مشاهد ألا وهو الكون، فالنّاظر في هذا العالم الكوني الفسيح يدرك بسرعة أن الإنسان يعيش في فضاء فنّي وبيئة واسعة بهية هي آية من الجمال بدءًا بالأرض حتىٰ أركان الفضاء الممتدة بجمالها الزاخر في المجهول تسير في رونق الغرابة الزاهي إلىٰ علم الله المحيط بكل شيء. ومن ذلك قوله سبحانه وتعالىٰ عن السّماء: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾﴾[الحِجر]، فهذه اللفتة القرآنية توحي بأنّ الجمال هو مقصود الخالق من خلق هذا الكون الواسع، وليست الضّخامة ولا الدّقّة وحدهما، وأنّ الغاية من الزينة هي استمتاع العين برؤيتها، وجعل الأرض الحية تتنفس بالجمال نِعَمًا لا تحصىٰ. فالقرآن الكريم لا ينفي الخلل عن السّماء فحسب، بل يتحدىٰ الناظرين، فالانسجام في الكون هو سرّ جماله. وقد صوّر الله تعالىٰ هذا الجمال بقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنعام]، وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[فاطر].

فهذا الجمال الحيّ المتجدّد يربي في الإنسان الذّوق الإنسانيّ علىٰ جمالية التوحيد، ممّا تعجز الأقلام والألوان عن تجسيد هذه الصّورة الحيّة النّابضة، وأيّ ريشة في الأرض قادرة علىٰ رسمها؟!! نعم إن القرآن العزيز يوجه الأنظار إلىٰ جمال الكون بالنّظر الفاحص والتّذوق العابر الذي يستتبعه الإحساس بجمال الشّكل الذي يضيء الذهن ويوقظ الحواسّ ومنافذ الرّوح من خلال صور جمالية كونية كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾﴾ [الصافات]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾﴾[المُلك]. لأنّ إدراك جمال الوجود هو أقرب وأصدق وسيلة لإدراك جمال خالق الوجود وذكر القرآن –هنا– أنّ المصابيح الّتي زين الله تعالىٰ بها السّماء الدنيا لها وظيفتان:

وظيفة جمالية، ومشهد النّجوم في السّماء جميل جمالًا يأخذ بالقلوب، وهو جمال متجدّد تتعدّد ألوانه بتعدّد أوقاته. والوظيفة الثانية هي رجم الشياطين في صورة شهب تحفظ السّماء من كلّ شيطان متمرّد وتدفعه عن الاستماع إلىٰ ما يدور في الملأ الأعلىٰ .

وهذا أيضا ينطوي علىٰ جمال من نوع آخر خفي محله المعاني لا المباني والأفكار لا الأشكال، ألا وهو جمال الأرواح الطيبة التي لا تسمح للشياطين (الأرواح الشريرة) بالعبث وتجاوز الحد وبلوغ السماء أو الدنو منها.

الخاتمة

توصل البحث إلىٰ جملة من النتائج المهمة التي تستخلص فيما يأتي:

١- درس البحث سعة الكون وحجمه الهائل.

٢- فالكون حجمه كبير وعظيم وواسع ويتسع باستمرار علىٰ الدوام، وهو أمر مهول.

٣- للكون جمال فاتن يأخذ بالألباب ويسحر العيون.

٤- الإنسان ضئيل جدًّا جدًّا في هذا الكون الكبير جدًّا جدًّا.

٥- الكون كله مسخر لهذا المخلوق الضعيف المعروف بالإنسان تشريفا له وتكريما ليعمرَ الأرض ويستخلفها في خيره ولصالح مجتمعه الإنساني.

٦- مسك الختام وختام الكلام يكمن في أن هذا الكون الشاسع الواسع والكبير العظيم دليل قاطع علىٰ عظمة خالقه الواحد الأحد جل جلاله وعم نواله، وفي ذلك عبرة للمعتبرين.

٧- يقترح الباحث ضرورة القيام بهذه الأبحاث تبرز إعجاز القرآن الكريم في الفيزياء والكون والفلك.

٨- يوصي الباحث بعقد ندوات ومؤتمرات ترعىٰ هذا الجانب، ويحث طلبة الدراسات العليا لاختيار موضوعات في رسائل الماجستير والدكتوراه لها شأنها العظيم في نشر حقائق القرآن الكريم.

الملحق

في هذا الملحق مجموعة من الصور تجسد عظمة الكون وحجمه الهائل:

صورة رقم 1 – لجزء صغير من مجرتنا درب التبانة لمنطقة تسمىٰ M13

صورة رقم 2 – حجم الأرض بالنسبة للمشتري[1]

(1) هذه الصور أخذت من: الكتاب الرباني المعجز والعلم الحديث، د. عابد توفيق الهاشمي: 1/ 101–105؛ ينظر: موسوعة الفيزياء الكونية والعلوم الفضائية، إعداد: علي مولا: 50.

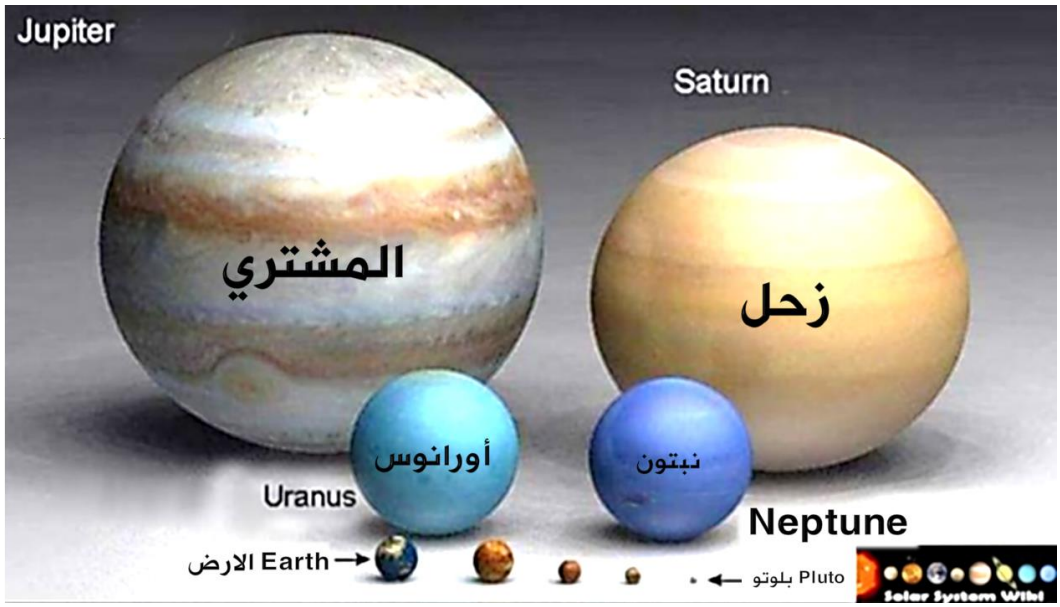

صورة رقم 3- حجم الأرض بالنسبة لبقية كواكب المجموعة الشمسية،

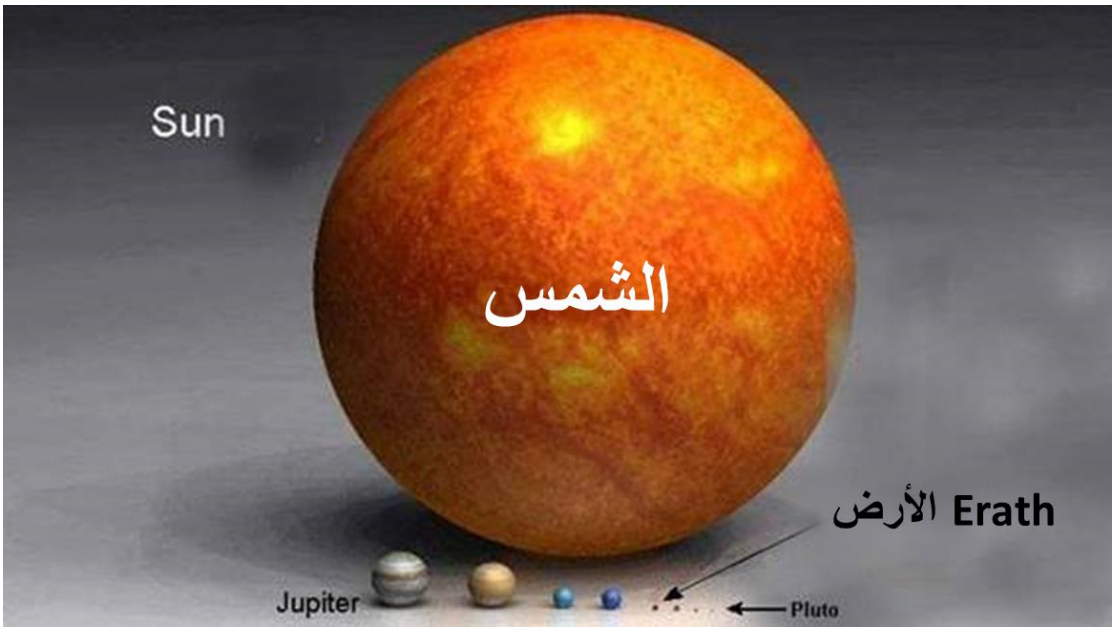

صورة رقم 4- حجم الأرض بالنسبة لحجم الشمس

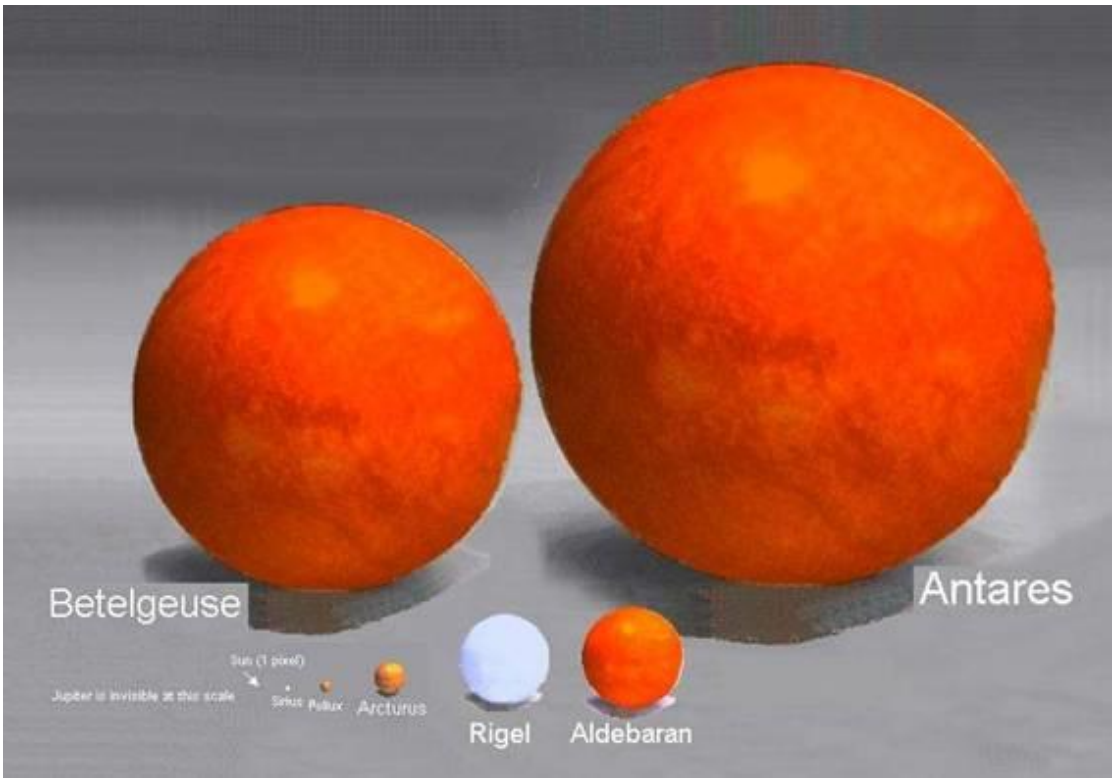

صورة رقم 5- حجم الشمس الضئيل بالنسبة لحجم نجوم أخرى

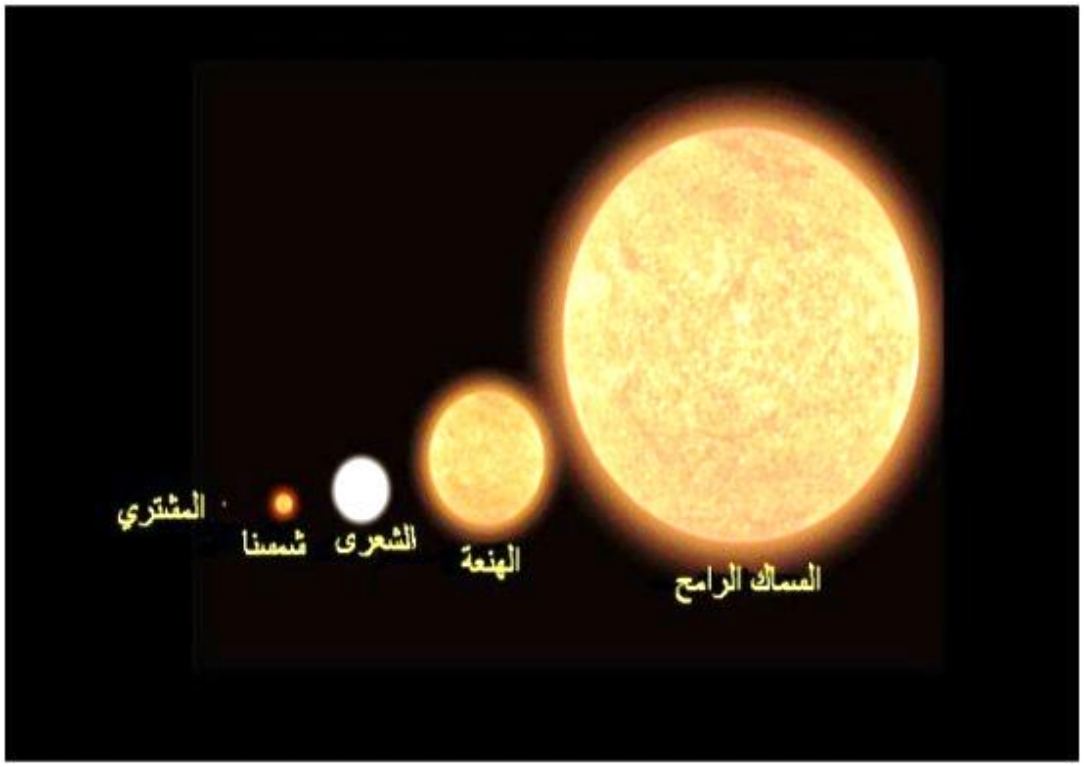

صورة رقم 6- بمقياس رسم حقيقي تضم نجومًا عملاقة مقارنة بنجوم قزمية كشمسنا

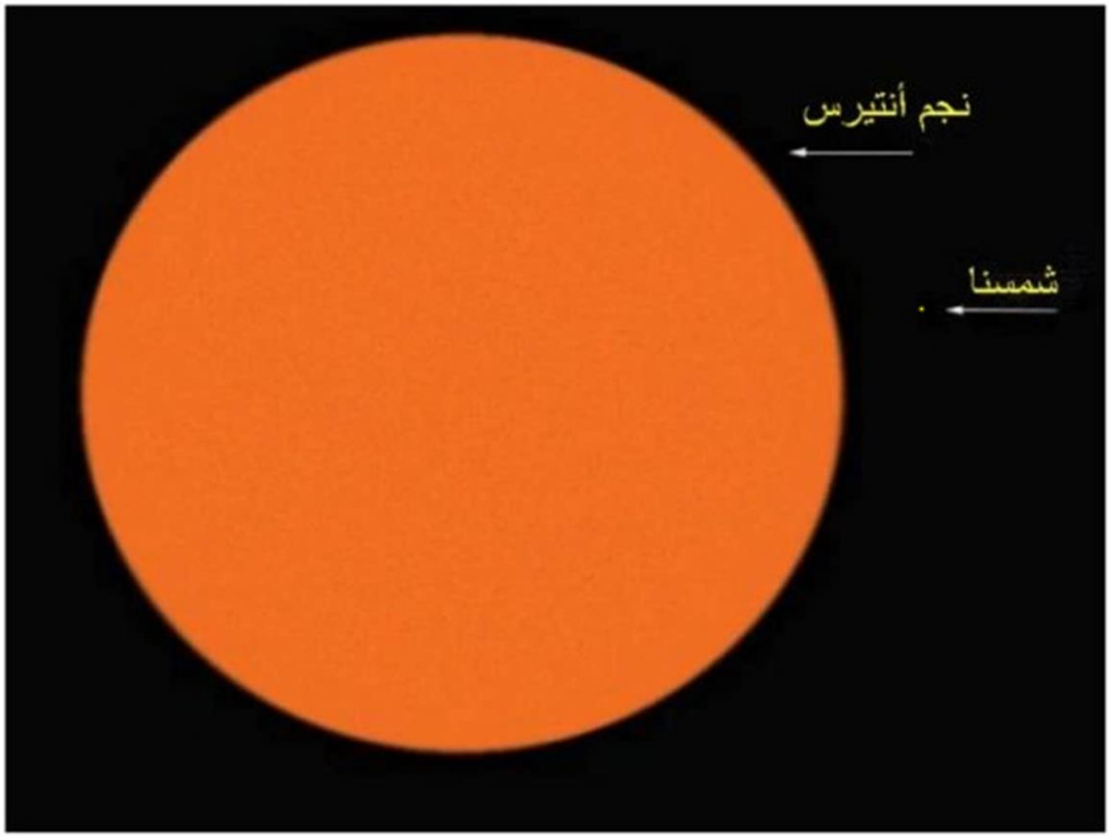

صورة رقم 7- بمقياس رسم حقيقي توضح حجم شمسنا مقابل نجم أنتيرس Antares (قلب العقرب)

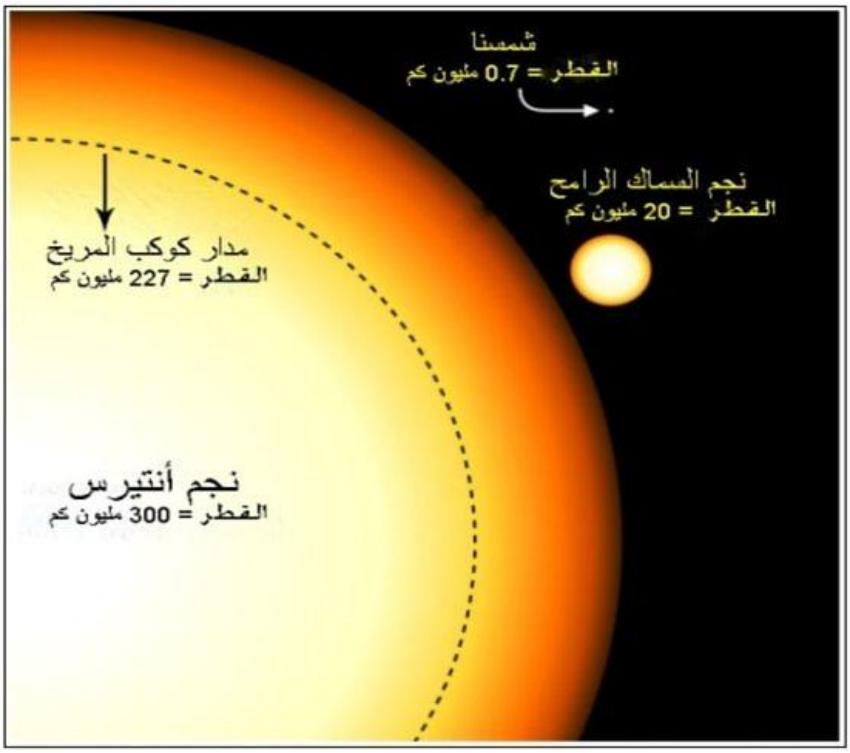

صورة رقم 8- بمقياس رسم حقيقي تجمع شمسنا مقارنة بنجمي السماك الرامح و Antares. والخط المتقطع يمثل مدار المريخ افتراضًا وكيف سيصبح داخل جرم النجم العملاق لو حلَّ مكان شمسنا بينما مدار الأرض والزهرة وعطارد ستكون داخلة في حجم Antares من باب أولىٰ

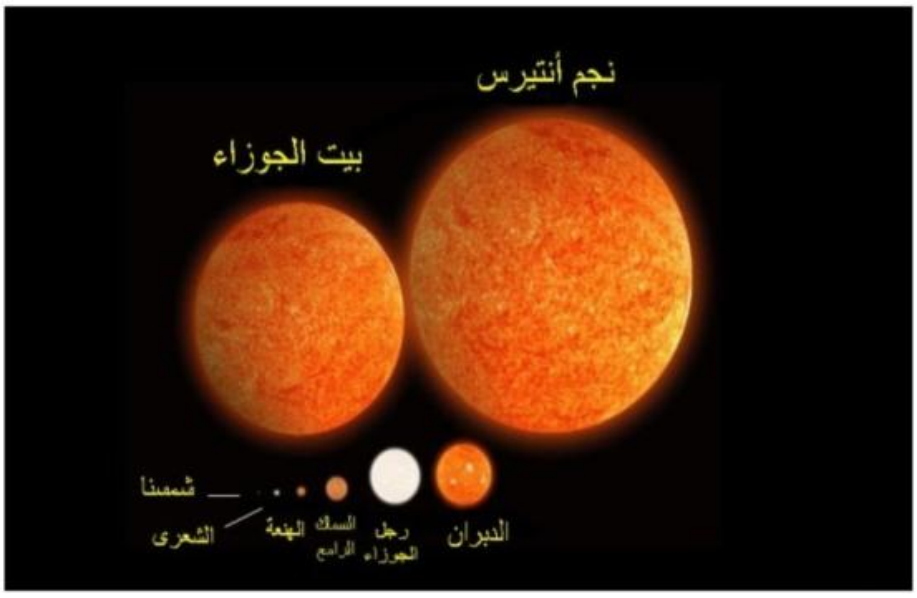

صورة رقم 9- بمقياس رسم حقيقي تضم عدة نجوم عملاقة مع قزمية كشمسنا

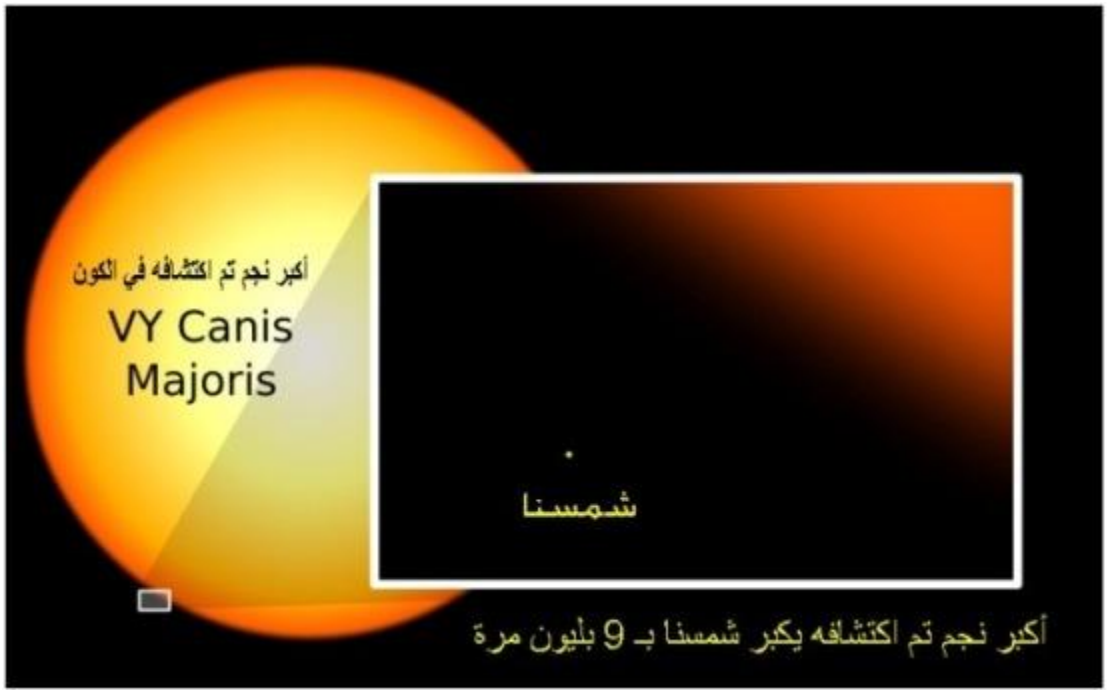

صورة رقم 10 – مقارنة بمقياس رسم حقيقي بين شمسنا وأكبر نجم مكتشف في الكون

صورة رقم 11 – قطر الأرض بالمقارنة مع قطر الشمس

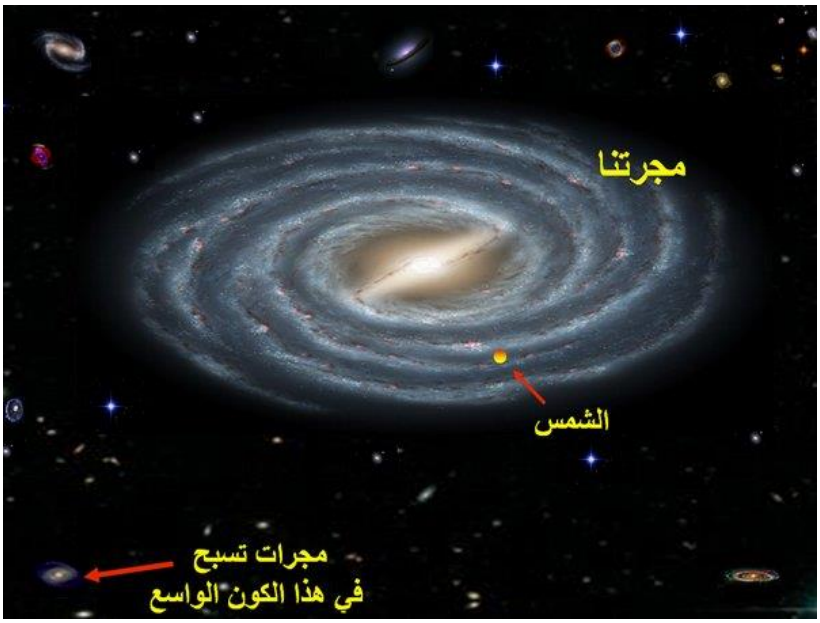

صورة رقم 12 – الشمس مع درب التبانة

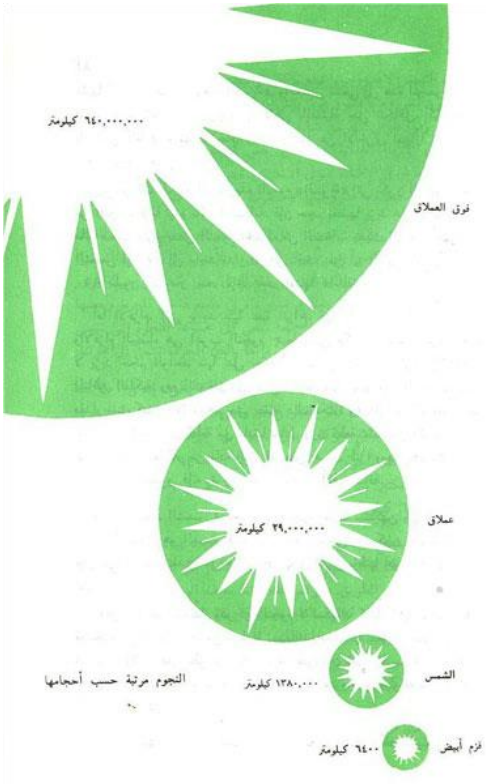

صورة توضح تصاعديًا ترتيب أحجام النجوم [1]

(1) النجوم، تأليف: آن ترىٰ هوايت، سلسلة كل شيء عن (3)، ترجمة، إسماعيل حقي 87.

وفي نهاية هذا البحث يحسن وضع رابط لمقطعي فيديو يصوران التدرج في عرض الأجرام السماوية، من الكوكب والنجم والمجرة... الخ. علىٰ النحو الآتي:

- **عنوان الفيديو** 2 Star Size Comparison صاحب القناة 1415morn تاريخ النشر 10/ 11/ 2017 رابط الفيديو:
- https: / /www.youtube.com /watch?v=GoW8Tf7hTGA
- عنوان الفيديو 3D Universe Size Comparison صاحب القناة Harry Evett تاريخ النشر 01/ 08/ 2016
- https: / /www.youtube.com /watch?v=vZczJfkYwMQ

المصادر والمراجع

١- الإبانة الكبرىٰ لابن بطة، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري (ت: 387هـ)، تح: الوليد بن محمد نبيه بن سيف النصر، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1418هـ

٢- الأدب الإسـلامي، أد. عبد الله فتحي الظاهر، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل، كلية العلوم الإسلامية، د. ط، 1434هـ- 2012م.

٣- إشارات الاعجاز في مظان الايجار، بديع الزمان سعيد النورسي (ت: 1379هـ)، تح: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، ط3، 2002م.

٤- الأصول الجمالية والفلسفية للفن الإسلامي، أنصار محمد عوض لله رفاعي، (أطروحة دكتوراه، جامعة حلوان ،2002م)، مكتبة الإسكندرية، كلية التربية الفنية، قسم علوم التربية الفنية، جامعة حلوان، منشورة.

٥- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (منهج تعليمي للمعاهد القرآنية)، محمد علي شفيق الندوي (الباحث بقسم البحوث والدراسات)، رابطة العالم الإسلامي- الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم- إدارة البحوث والبرامج.

٦- الإنسان في الكون بين القرآن والعلم، د. عبد العليم عبد الرحمن خضر، عالم المعرفة، جدة، ط1، 1403هـ-1983م.

٧- الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال الوارد في هامش الكشاف.

٨- الانفجار الكبير - ماذا غير القرآن في العالم وماذا أحضر للإنسانية- د. بهاء الأمير، مكتبة وهبة للطبع، دار الكتب والوثائق القومية، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1436هـ.

٩- البدايات؛ قصة نشوء الإنسان- الحياة- الأرض- الكون، إسحق عظيموف، ترجمة: ظريف عبد الله، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلىٰ للثقافة، القاهرة، د. ط، 2001م.

١٠- تسبيح الكون، أد. أحمد شوقي إبراهيم، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2003م.

١١- الجمال في القرآن الكريم- مفهومه ومجالاته، أد. عبد الجواد محمد المحص، كتب عربية، د. ط،1426ه- 2005م.

١٢- حتىٰ لا نخطئ فهم القرآن، محمود محمد غريب: من علماء الأزهر الشريف والموجه الديني لشباب جامعة القاهرة، أعده للشاملة: أبو إبراهيم حسانين.

١٣- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: 911هـ)، تح: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية/ د. عبد السند حسن يمامة، القاهرة، ط1، 1424هـ- 2003م.

١٤- رحلة شيقة إلىٰ أعماق الكون الغامض والمدهش، سفيان الصنهاجي، عالم الإبداع، 7/ 2/ 2016م،
https: //maalomatmofida.blogspot.com /2016 /02 /blog-post_60.html

١٥- روعة البيئة ورعايتها- دراسة في الإعجاز الفيزيائي للقرآن الكريم-، فاضل يونس حسين، المؤتمر الدولي الثاني لكلية التربية (القرنة) تحت شعار: البصرة منبع العلوم وحاضرة الإبداع" في 3- 4/ 4/ 2019م.

١٦- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (ت: 1420هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1415هـ- 1995م.

١٧- سنن أبي داود؛ سليمان بن الأشعث بن إسحق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت: 275هـ)، تح: شعَيب الأرنؤوط، محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ- 2009م.

١٨- سورة الواقعة ومنهجها في العقائد، محمود غريب، دار التراث العربي، القاهرة، ط3، 1418هـ- 1998م.

١٩- الطرق علىٰ أبواب السماء- كيف تنير الفيزياء والتفكير العلمي الكون والعالم المعاصر-، تأليف: ليزا راندل، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ط1، 2015م.

٢٠- عجائب الفيزياء- ألغاز ومفرقات وغرائب، تأليف: كريستوفر ياردوجسكي، فرانكلين بوتر، ترجمة: محمد فتحي خضر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ط3، 2017م.

٢١- العلم وآفاق المستقبل، إسحق عظيموف، ترجمة: د. السيد عطا، مكتبة الأسرة- القراءة للجميع، 2005، برعاية سوزان مبارك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

٢٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت: 852هـ)، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف علىٰ طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة، بيروت، 1379ه.

٢٣- فقط ستة أرقام/ القوىٰ العظمىٰ التي تشكل الكون، تأليف: د. مارتن ريس، ترجمة: (جنات جمال، مهند التومي، د. مؤمن الحسن، د. موسىٰ إدريس)، مركز براهين لدراسة الإلحاد ومعالجة النوازل العقدية، لندن، دار الكاتب للنشر التوزيع، د. ب، ط1، 2016م.

٢٤- فيزياء العقل البشري والعالم من منظورين، تأليف: روجر بنروز، أبنر شيموني، نانسي كارترايت، ستين هوكينغ، ترجمة: عدنان علي الشماوي، مراجعة إيمان عبد الغني عبد الصمد، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، هيئة أبو ظبي للثقافة (كلمة)، أبو ظبي، ط1، 1430هـ-2009م.

٢٥- القول المقبول في معجزات الرسول ﷺ، بقلم: محمد الشيخ طه الباليساني، مطبعة شفيق، بغداد، د. ط، 1987م: 32.

٢٦- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ، مذيل بحاشية: الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال، ابن المنير الإسكندري (ت: 683هـ)، وتخريج أحاديث الكشاف، للإمام جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي (ت: 762هـ).

٢٧- الكون والإنسان في التصور الإسلامي، د. حامد صادق قنيبي، مكتبة الفلاح، الكويت، د. ط، 1400هـ.

٢٨- المجرات تشهد بعظمة الخالق، في2014/12/15، موقع طريق الإسلام، http: / /iswy.co /e146on.

٢٩- مجلة الفضاء، العدد: 56، 1972م. نقلًا عن: آيات الكون وأسرار الطبيعة في القرآن، عبد الله الغديري، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، د. ط، د. ت.

٣٠- محاضرات في علم الفلك، دعاء ضياء قنديل، الدورة الفلكية الأولىٰ لمركز الأبحاث الفلكية/ جامعة أهل البيت، كربلاء، د. ط، د. ت.

٣١- مع الله (ديوان) عمر بهاء الدين الأميري، مطبعة الأصيل، حلب، 1379- 1959.

٣٢- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، 1419ه.

٣٣- مفهوم الجمال في الفكر الإسلامي، د. جميل علي رسول السورجي، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد: 20، رمضان/ 1433هـ-أغسطس (آب)/ 2012م.

٣٤- مقال: عالم فيزياء بريطاني: بحوثي أثبتت أن الله خلق الكون، 1/ 5/ 2017م، https: / /arabic.rt.com /world /876262

٣٥- وسع كرسيه السموات والأرض، مقال: د. عبد الله عبد الرحمن المسند، السعودية، رمضان/ 1429هـ، http: / /www.almisnid.com /almisnid /article-27.html.

٣٦- وظيفة الصورة الفنية في القرآن، عبد السلام أحمد الراغب، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، حلب، ط1، 1422هـ- 2001م.

المحتويات

ملخص البحث	2
المقدمة	3
التمهيد	4
المبحث الأول: حجم الكون، أو سعته	5
المبحث الثاني: حجم الإنسان وقيمته عند خالقه	12
الخاتمة	20
الملحق	21
المصادر والمراجع	29
المحتويات	33